البحث عن المشترك بين المسيحية والإسلام من خلال سفر الرؤيا وأحاديث الفتن دراسة مقارنة

أحمدو نور الحق
جامعة محمد الخامس
المملكة المغربية

الملخص

يظهر من خلال هذه الدراسة أن سفر الرؤيا هو المرجع الأساس الذي يشكل الرؤية العقدية للنصارى الأصوليين حول مجيء السيد المسيح في آخر الأيام، وما يصحب ذلك من أحداث نهاية العالم، على الرغم مما طرح حول السفر من تساؤلات تتعلق بتأليفه ومؤلفه وضمه للعهد الجديد.

وشمل سفر الرؤيا في مكون كبير منه الحديث عن معركة "هرمجدون"، والتي اختلف فيها المسيحيون الأصوليون، بين من رآها المعركة الأخيرة، وبعض يرى أنها المعركة قبل الأخيرة، وهو خلاف يرجع إلى أن بعضهم يعتبرها بعد الحكم الألفي والبعض الآخر اعتبرها مقدمة لأزمة قبله، وهي بذلك تكون مقدمة حتمية لنزول المسيح عليه السلام للحكم بالعدل.

من جانب آخر، يعتمد المسلمون في الإيمان بمسألة عودة المسيح عليه السلام، على أحاديث نبوية شريفة، وقد اعتبر بعض المعاصرين أن الإيمان بالمجيء الثاني، يعتبر عقيدة نصرانية دخيلة على الإسلام، معتبرين أن الأحاديث التي صرحت بعودة المسيح عليه السلام هي أحاديث آحاد في أغلبها، لم تصل إلى درجة التواتر، وبالتالي لا تثبت بها العقيدة، باعتبار أن أحاديث الآحاد يثبت بها العمل وليس العلم.

ويتفق المسيحيون على عودة عيسى بن مريم آخر الزمان، إلا أن المعاصرين من البروتستانت، اختلفوا في تحديد وقت مجيئه. كما يتفق سفر الرؤيا وأحاديث الفتن على مسألة العودة الثانية للمسيح عليه السلام في آخر الزمان، وأنه سيرجع عيانا بيانا تدركه كل عين. ويتفقان على أن النصر النهائي والتمكين سيكون للمسيح عليه السلام بعد معركة ينتصر فيها الحق وأهله.

Abstract

The Book of Revelation is considered the main source which has shaped the Evangelic belief regarding the Second Coming of Jesus Christ and the associated circumstances of the End of the World. But, many questions have been raised about the Book of Revelation: its source, its author, and its annexation to the New Testament

The Book of revelation mentioned several times the Battle of Armageddon which some Christians believe is the Last Battle, and some believe it is the battle which precedes the last battle. .This disagreement is due to the fact that some think that it is after the Millennium rule, while others believe that it is an introduction to a crisis before it. It is therefore, an inevitable introduction to the descending of Jesus Christ to rule with justice

Muslims faith in the issue of the return of Christ (peace be upon him) is based on the Hadiths of the Prophet (prayer and peace be upon him). Some contemporary Muslim scholars, however, consider the idea of the Second Coming as a Christian doctrine alien to Islam. They said that most of the Hadiths reported about this issue are classified as Ahaad and not Mutawatir. According to them, the authenticity of this kind of narration is not high enough to build up a doctrine out of them.

Christians agree about the return of Jesus Christ, however, the contemporary Protestants disagree about the time and nature of his coming. They agree that the ultimate victory and empowerment will be in favor of Christ (peace be upon him) after a victorious battle for the Truth and its people.

مقدمة

عُرف الإنسان بولعه الشديد والفطري بالبحث عن تفسير لنهاية العالم، وفي سبيل ذلك استعمل كل الأدوات المتاحة لقراءة واستشراف المستقبل، محاولا فهم مصيره ومآله على الأرض وبعد الأرض، وقد حدث ذلك في الماضي والحاضر.. ومن هنا كان للدين الإسلامي أن قدّم الإجابة القاطعة عن التساؤلات المصيرية للإنسان، كاشفا المستقبل الذي ينتظر البشرية وكيفية نهايتها وما سيسبق ذلك ويصاحبه من أحداث وإرهاصات، وقد ورد ذلك في آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة.

وتمثل مسألة عودة المسيح عليه السلام في آخر الزمان، حلقة من حلقات تلك الأحداث التي تُنبئ بقرب قيام الساعة، وتمثل علامة من علاماتها. وظلت مسألة العودة راسخة عند جمهور المسلمين، وهي مسألة تعتمد في أساسها على أحاديث نبوية شريفة، وذلك مع ما تواجهه تلك الأحاديث من مشاكل في كون معظمها ظني الثبوت والدلالة.

ومما أثار احتدام الجدال في هذه المسألة، هو اعتبار بعض المعاصرين أنها عقيدة نصرانية دخيلة على الإسلام، معتبرين أن الأحاديث التي صرحت بعودة المسيح عليه السلام هي أحاديث أحاد في أغلبها، لم تصل إلى درجة التواتر، وبالتالي لا تثبت بها العقيدة، باعتبار أن أحاديث الأحاد يثبت

بها العمل وليس العلم. من هنا سيكون من المفيد أن ندرس مسألة المشترك بين المسيحية والإسلام من خلال استجلاء ما اتفقت أو اختلفت عليه الديانتان في رؤيتهما لنهاية العالم، خاصة مسألة **عودة المسيح عليه السلام في آخر الزمان** لنتبين من خلال أهم مصدرين للديانتين في هذا الباب – سفر الرؤيا بالنسبة للمسيحية، وأحاديث الفتن بالنسبة للإسلام–أصل مسألة العودة في الديانتين، ومواطن التشابه والاختلاف، وأوجه التأثير والتأثر بينهما.

ويؤمن جمهور المسلمين على اختلاف مشاربهم أن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء روحاً وبدناً، حيث أخبر الله تعالى أنه لم يُقتل، ولم يُصلب، وأنه تعالى قد ألقى شبهه على غيره، وأن هذا الآخر هو الذي قتلوه، وصلبوه، وليس عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه سينزل في آخر الزمان، يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويحكم بالإسلام.[1]

ومع أن هذا هو الاعتقاد الذي ظل سائدا على مدى العصور الماضية، إلا أن القرن الماضي شهد ظهور طبقة من المجددين الذين تصدروا حركة الإصلاح الديني، وفي سبيل ذلك وضعوا بعضا مما كان من المسلمات موضع البحث وإعادة النظر فيه[2]، وكانت مسألة رفع عيسى عليه السلام حيّا وعودته في آخر الزمان متصدرة النقاش والبحث، مما أسفر عن جدل واسع بين بعض المعاصرين من المؤيدين لهذه القضية والمنكرين لها.

وفي السياق المسيحي، يعد سفر الرؤيا واحدا من أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل، إذ يحكي يوحنا اللاهوتي في رؤياه بداية النهاية وما سيصحبها من علامات، من بينها تحرر الشيطان من أغلاله، مما يستدعي نزول يسوع المسيح من السماء ليخوض معارك مع الشيطان فينتصر عليه في النهاية[3].

وتتجلى أمامنا في طريق إنجاز هذه الدراسة مسألتان: أولهما قضية ثبوت الأحاديث، وهي مسألة لن نخوض في تحقيقها، بل سننقل ما ورد من كلام عن صحة تلك الأحاديث ودلالة ألفاظها ومعانيها، خاصة أن الله قيض لهذا العلم رجالا بذلوا جهودا كبيرة جعلت علم الحديث بارزا ممحصا أمام الجميع. والقضية الثانية تتعلق بالدلالة، وهي مسألة تدخل في علوم اللغة العربية، وأصول الفقه، وسنستند في هذا المجال على ما سبق إليه الدراسون من نتائج، وذلك بما يطلبه المقام.

---

[1]– صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (579/2) رقم 382

[2] محمد خليل هراس، نزول عيسى صلى الله عليه وسلم وقتله الدجال، تحقيق: أبو الفداء الأثري، القاهرة مكتبة السنة، ص:6

[3] جوناثان كيرش، تاريخ نهاية العالم، كيف أثر أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل في حضارة الغرب، ترجمة: الدكتور عبد الوهاب علوب، مكتبة الشروق الدولية، ص 15

وبهذا فإن المشكلة التي تعالجها الدراسة هي: **البحث عن المشترك حول عودة المسيح عليه السلام بين سفر الرؤيا وأحاديث الفتن المرتبطة بالعودة.**

أهمية الموضوع والهدف منه.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها عمل أكاديمي باللغة العربية يخرج بمسألة عودة المسيح عليه السلام من الجدل الدائر حول صحة الأحاديث النبوية وتخريجها ودلالتها، ليحاول فهم جذور المسألة في الديانة المسيحية، وما إذا كان المسلمون قد تأثروا بشكل أو بآخر بتلك الديانة، وذلك من خلال دراسة أبرز مصدرين يؤسسان لمفهوم عودة عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وهما أحاديث الفتن المرتبطة بالعودة من جانب، وسفر الرؤيا من الجانب الآخر.

إشكالية البحث:

تتعلق القضية الرئيسية لهذا البحث بمسألة "**البحث عن المشترك حول عودة المسيح عليه السلام بين سفر الرؤيا وأحاديث الفتن المرتبطة بالعودة**".

ويدخل ضمن هذه المسألة عدد من التساؤلات من بينها:

1- ما هي مصادر الديانتين في تأسيس عقيدة العودة؟

2- ما هي أوجه التشابه والاختلاف في موضوع العودة في المسيحية والإسلام؟

3- وكيف يرى منكرو العودة في الديانتين تلك المصادر؟

4- ما هي أهداف وطرق العودة في الديانتين؟

5- ما هي أوجه التشابه والاختلاف في موضوع العودة في المسيحية والإسلام؟

منهج الدراسة:

تفرض طبيعة الموضوع اللجوء إلى منهجية علمية محددة للخروج بالمبتغى من هذه الدراسة التي تتطلب استخدام المنهج الوصفي للتعريف بسفر الرؤيا، وكيف أسس لعقيدة العودة، ,تناول الأحاديث النبوية الواردة في هذا المجال، حيث يعد المنهج الوصفي عملية تقدم بها المادة العلمية كما هي، وهو في الواقع عمل تقريري يعرض موضوع البحث عرضا إخباريا بلا تعليل أو تفسير وهو بذلك عبارة عن دليل علمي يهدي إلى القضايا والموضوعات أو المصطلحات، أو الإشكالات العلمية فيصنفها كما أو كيفا، أو هما معا بطريقة منهجية دون أن يبدي رأيا تعليليا أو تفسيريا لوضعها وطبيعتها[1].

---

[1] فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ص 61 (منشورات الفرقان-الدار البيضاء، ط1، 1997)

وسيكون استخدام المنهج التحليلي في دراسة نص سفر الرؤيا والأحاديث النبوية وتتبع معاني وألفاظ تلك النصوص، سعيا لفهم وتأصيل العقيدة في الديانتين المستهدفتين. إذ أن المنهج التحليلي يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما، ويتم من خلاله الإبداع، والاستنباط والاجتهاد بناء على عناصر علمية ما[1]. كما سيتعين على الباحث استخدام المنهج المقارن للوقوف على مدى التشابه في هذه المسألة بين المسيحية، والإسلام، والوقوف على أماكن الالتقاء والاختلاف، والتأثر والتأثير.

سفر الرؤيا وقضاياه النقدية

يعد سفر الرؤيا آخر أسفار العهد الجديد، والمقصود به الرؤيا التي ادعى يوحنا اللاّهوتي[2] أن الله أعطاها ليسوع المسيح، ليكشف لعبيده عن أمور لابد أن تحدث عن قريب، وأعلنها المسيح لعبده يوحنا عن طريق ملاك أرسله لذلك، وقد شهد يوحنا بكل ما رآه وقال: "طُوبَى لِلَّذِي يَقْرَأُ وَلِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ أَقْوَالَ النُّبُوَّةِ، وَيَحْفَظُونَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهَا، لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ"[3].

وتمت كتابة سفر الرؤيا في العام 95 للميلاد، وذلك مع نهاية حكم دومتيانوس إمبراطور الإمبراطورية الرومانية، وقد كتب يوحنا هذا السفر في جزيرة بطمس التي نفاه إليها دومتيانوس وهي تبعد حوالي 25 ميلا من شواطئ آسيا الصغرى (تركيا حاليًا).

ومن أهم القضايا التي يتناولها سفر الرؤيا قضية بعث المسيح عليه السلام الموجبة للعودة الثانية حيث يتناول سفر الرؤيا الإلتباس الذي حصل عند أتباع المسيح بعد وجود قبره فارغا[4]، وبهذا كان سفر الرؤيا هو الأساس القوي لعقيدة المجيء الثاني للمسيح، ولحكم الألفية السعيدة، وذلك بالنسبة للمتبنّين لهذه العقيدة من الإنجيليين المسيحيين. وكاتب السفر هو يوحنا الحبيب تلميذ السيد المسيح، ويسمى اللاهوتى لأن إنجيله كان يهدف إلى إثبات لاهوت السيد المسيح.

ويمكن القول إنه مع اختلاف رؤية القراء لهذا السفر، وانقسامهم إلى توجهات عدة في تصنيفه، حيث ذهب بعضهم إلى أنه وحي من الرب، ووصفه البعض الآخر بأنه عمل أدبي كبير لكاتب موهوب

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 96

[2] يعرف أيضا بيوحنا الرائي وبيوحنا الحبيب، وبحسب التقليد المسيحي فإنه كاتب إنجيل يوحنا -لذلك يلقب بالإنجيلي -وكاتب الرسائل الثلاث التي تنسب إليه وأخيرا كاتب سفر الرؤيا.

[3] سفر الرؤيا 1-1- 3

[4] Norman, D. J. (2008). Doubt and the Resurrection of Jesus. Theological Studies, 69(4), 786-811.

من البشر، فيما اعتبره آخرون تهاويم مهووس ديني خرف، فإن هناك بعض القراء ممن لديهم القدرة على الإيمان بأنه يمثل الأوصاف الثلاثة جميعا في وقت واحد.

صورة العودة في سفر الرؤيا

تبدأ أحداث قصة عودة المسيح عليه السلام منذ أن سرد يوحنا رؤياه التي رآها في جزيرة صغيره في بحر إيجه، إذ كان في يوم أحد، حيث انشقت أمامه السماء وشاهد سبعة منابر ذهبية بين المنابر شبه إنسان (يسوع المسيح)، رأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون وصوته كصوت مياه كثيرة، ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه، ووجه كالشمس وهي تضيء في قوتها[1]. ومن خلال الرؤيا يسرد يوحنا وصفا لما رآه وأبلغ به، فقد رأى عرشا في السماء جالسا عليه الرب وحوله أربعة حيوانات، لكل منها ستة أجنحة، وحول العرش أربعة وعشرون شيخا، وأمامه سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الرب، وعلى يمينه كتاب كان مكتوبا من داخل ومن وراء ومختوما بسبعة ختوم.

وتتلخص الصورة التي قدمتها سفر الرؤيا لنبوءة عودة المسيح عليه السلام في تقديم وصف جليل للمسيح الممجد الذي تجلى له في الرؤيا، قبل أن يتبع يوحنا ذلك الوصف بسرد للرسائل التي أمره بإبلاغها للكنائس السبع، ثم يأتي من بعد ذلك وصف للأحداث التي من المتوقع أن تحدث آخر الزمان، من ضيقات ورزايا وأحداث فظيعة، ثم الحرب التي سينهزم إبليس في نهايتها، فتطهر الأرض من أعوانه، بعد ذلك يحكم المسيح مدة الف سنة. وفي نهاية الملحمة والأحداث المصاحبة يتعرض يوحنا من خلال السفر إلى قيام الأشرار أمام الجبّار في اليوم الأخير ثم ينتهي وصف الحالة الأبدية بالنصر للمسيح ويتحقق الخلاص النهائي للمؤمنين.[2]

سفر الرؤيا ونهاية العالم

تتلخص أحداث نهاية العالم في تفاصيل معركة هرمجدون التي أشار إليها سفر الرؤيا، وهي التي يبدأ سير أحداثها عندما يتحالف الوحش بقوته مع النبي الدجال الذي وصف بالقرن الصغير، تحالفا يجلب البلاء والمحن على المؤمنين. عندها يأمر الدجال بغزو الوحش لفلسطين ويحتلها ويدمر إسرائيل الحديثة، بعد ذلك تأتي أخبار الى الحاكم الأعظم الذي يحكم القوة المكونة من عشر أمم، تفيد أن ملوك الشرق المتأثرين بوسوسة الشيطان قد أعدوا جيشا ضخما، ثم تنشب المعركة بين جيوش

---

[1] الرؤيا 1: 13-16

[2] راجح السباتين، المسيحية البروتستنتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، رسالة ما جستير، الجامعة الأردنية 2007، ص: 91-93

الوحش وجيوش ملك الشرق قرب مجدون، وبمجرد التقاء الجيشان ينزل المسيح على رأس ملايين من الملائكة فتهاجمه الجيوش البشرية المتقدة بالحقد والكراهية[1].

وشمل سفر الرؤيا في مكون كبير منه الحديث عن معركة هرمجدون، والتي اختلف فيها المسيحيون الأصوليون، بين من رآها المعركة الأخيرة، وبعض يرى أنها المعركة قبل الأخيرة، وهو خلاف يرجع إلى أن بعضهم يعتبرها بعد الحكم الألفي والبعض الآخر اعتبرها مقدمة لازمة له، وهي بذلك تكون مقدمة حتمية لنزول المسيح عليه السلام للحكم بالعدل.

وصف الأحاديث النبوية القائلة بالعودة

وردت أحاديث كثيرة في نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، وقد أوردها عدد من العلماء في مصنفاتهم، لعل أبرزهم الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الذي جمع في كتابه "التصريح بما تواتر في نزول المسيح"، أكثر من خمسة وخمسين حديثًا مرفوعًا، أكثرها صحيح، والباقي غالبه من الحسان، وجاءت في مسألة عودة المسيح عيسى عليه السلام آخر الزمان ذلك آثار كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين.[2] ومن بينها:

1- عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها»[3]، ثم يقول أبو هريرة:" واقرءوا إن شئتم: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: 159] "

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها".[4]

---

[1] عبد الوهاب طويلة، المسيح المنتظر ونهاية العالم، دار السلام، القاهرة، الطبعة 4، ص: 267-268

[2] حمود بن عبد الله التويجري، اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، دار الصميعي، الرياض -المملكة العربية السعودية، ط/ الثانية، ج: 3، ص: 128

[3] صحيح البخاري، (168/4)

[4] أخرجه الشيخان: البخاري رقم: 2222، ومسلم رقم: 155

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم: " تعال صل لنا" فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة".[1]

ومن الأحاديث التي ذكرت وصفا لشكله عليه السلام والأعمال التي سيقوم بها عند قدومه حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

3- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى. وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه."[2]

وقد جاءت هذه الأحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد وغيره من دواوين السنة، وهي تدلُّ دلالة صريحة على ثبوت نزول عيسى في آخر الزمان، وقال ابن كثير: في تفسيره: "تواترت الأحاديث عن رسول الله أنه أخبر بنزول عيسى قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا"[3].

هكذا سيكون نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقتل القرد ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله، ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها، وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال، ويرفع الشحناء والتباغض وينزع الله سم كل ذي سم حتى تلعب الأولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم، وترعى الشاة مع الذئب فلا يضرها، وتملأ الأرض سلما - وينعدم القتال، وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، وكذا الرمانة، وترخص الخيل لعدم القتال، ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها.

---

[1] رواه مسلم، رقم: 156

[2] الإمام أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث-القاهرة، ط/ الأولى، 1995، (153/15)

[3] أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى، 1419هـ، (217/7)

أهل العلم في العصر الحديث وموقفهم من أحاديث عودة المسيح

من أبرز من تكلم في هذا الموضوع من المعاصرين هو الشيخ محمود شلتوت وذلك ردا على سؤال ورد إلى مشيخة الأزهر الجليلة من عبد الكريم خان الذي وجه سؤالا جاء فيه: هل عيسى حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟

وقد حُوِّل هذا السؤال إلى الشيخ شلتوت، الذي أجاب بفتوى نشرتها مجلة الرسالة في سنتها العاشرة بالعدد 919، وخلص من خلال رده على هذه الفتوى إلى أنه:

1- ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليه القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض.

2 – أن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه.

3 – أن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه فيها حي إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعي، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين و يدفن في مقابر المؤمنين، ولا شية في إيمانه عند الله و الله بعباده خبير بصير.[1]

ومن خلال هذه الفتوى خلص الشيخ شلتوت إلى أن الأحاديث الواردة في رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء روايات مضطربة، مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافا لا مجال فيه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث، وهي فوق ذلك: من رواية وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وهما من أهل الكتاب.

ويبدو أن مسألة نزول المسيح عيسى بن مريم آخر الزمان وإن كانت أثيرت فقط لدى بعض المعاصرين، فإنه لم تخل من خلاف قديم لدى السلف الأولين، أشار إليه الإمام ابن حزم بقوله واتفقوا على: "أنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبدا الا أنهم اختلفوا في عيسى عليه السلام أيأتي قبل يوم القيامة أم لا، وهو عيسى بن مريم المبعوث إلى بني إسرائيل قبل مبعث محمد عليه السلام."[2]

وقد أقر فتوى الشيخ شلتوت كل من الشيخ محمد عبده، والسيد رشيد رضا، والأستاذ الأكبر الشيخ المراغي. كما أن الدكتور حسن الترابي أنكر الأحاديث الواردة في هذا الباب، وذلك اعتمادا على

---

[1] محمود شلتوت، الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم العاصر في حياته اليومية العامة، دار الشروق، ط/ 18، 2004، ص: 56

[2] أبو محمد بن حزم، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية – بيروت، ص: 173

ظاهر الآيات القرآنية التي استدل بها على عدم إمكانية رجوع المسيح عليه السلام، واعتبر أنها أثر من آثار الثقافة المسيحية على التراث الإسلامي، تسربت إلى كتب الحديث دون وعي من أهلها.[1]

وعلى هذا الطريق سار المفكر الإسلامي محمد المختار الشنقيطي، الذي اعتبر أن أقل ما يقال في أحاديث البخاري ومسلم حول عودة المسيح بن مريم وظهور المسيح الدجال "أنها غريبة ومثيرة للريبة، وقد أشكلت على علماء أعلام في الماضي، منهم البيهقي وابن حجر وغيرهما، لمعارضة بعضها ليقينيات الوقائع، ومناقضة بعضها لبعض."[2]

وبدراسة الأحاديث في هذه المسألة يتبن أن كثرتها وتواتر معناها يصعب معه إلغاؤها أو الادعاء ببطلانها كما أنه "مما لا نوازع فيه أن العادة قاطعة باستحالة أن يتواطأ هذا الجمع العظيم من الصحابة والتابعين وأتباعهم على الكذب والخطأ وأن يقع ذلك منهم اتفاقاً من غير تواطؤ بل العادة تحيل الكذب والخطأ"[3] خاصة أن عددا من العلماء الأجلاء قطعوا بصحتها كما تقدم ذكر أقوال بعض منهم. وقد عدد منهم محمد خليل هراس "العلامة الطبري، والنووي، والقاضي عياض، وابن حجر، وابن تيمية وابن القيم، والذهبي وابن كثير .. وابن عطية، وأبوحيان الأندلسي، والشوكاني، والألوسي ومحمد حبيب الله الشنقيطي، والسفاريني، والكشميري، والألباني والشيخ أحمد شاكر، والكوثري."[4]

<u>عودة المسيح عليه السلام بين سفر الرؤيا وأحاديث الفتن</u>

يرسم سفر الرؤيا جوا من الرهبة سيعود خلاله المسيح عليه السلام عند مدينة القدس.[5] ونص سفر الرؤيا على أن مهمة المسيح تتلخص في إنقاذ عدد محدد من الناس سيتم الختم على جباههم بأختام نجاة.[6] ومن الملاحظ أن يوحنا صور العودة الثانية للمسيح بصورة قريبة جدا من النمط الذي يتوقعه اليهود حيث سيكون الانقاذ مقتصرا على عدد من اليهود حدده سفر الرؤيا في 144000 من خيار بني

---

[1] انظر مقابلة الترابي مع الشرق الأوسط بتاريخ 2006 /4/21 على الرابط:
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=11&article=359248&issueno=10006#.VuaDGPI96Uk

[2] انظر كتاب محمد المختار الشنقيطي، آراء الترابي من غير تكفير ولا تشهير.

[3] عبد الله بن الصديق الحسني، عقيدة أهل الاسلام في نزل عيسى عليه السلام، واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم – فلسطين، ص: 13

[4] محمد خليل هراس، فصل المقال في نزول عيسى وقتله الدجال، ص: 23

[5] الرؤيا: 19/ 11-12

[6] الرؤيا: 7/ 2-4

إسرائيل[1] وبهذا يكون انتصار المسيح لثلة محددة من بني إسرائيل فقط، أما باقي البشرية فسيحرقون في نار وكبريت.

وقد أفصح العديد من المفكرين ورجال الدين المسيحيين عن تنبؤاتهم بتوقيت عودة المسيح عليه السلام، ومن الأمثلة على ذلك توقع الكميائي الفرنسي جان دي ريكوتيليد بعودة المسيح في العام 1370م، وذلك استنادا إلى توقعه بظهور المسيح الدجال عام 1366م[2]. كما توقع الفلكي الألماني جونيس ستوفلر، أن عودة المسيح ستكون يوم 20 فبراير 1524م، مستشهدا باصطفاف أجرام سماوية كان يرى أنها إشارة إلى اقتراب عودة المسيح في ذلك التوقيت[3].

وسنجد فيما بعد أن من المعاصرين من اعتقد بأن مجيئه سيكون في أيامهم، لدرجة أن البعض حدد وقت مجيئه بتاريخ معين، وكانت تنتابهم خيبة أمل بعد حلول كل أجل حددوه. فقد حدد الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون أنه لن يأتي عام 2000م، إلا ويأتي المسيح، حيث قال:" إن عام 1999 نكون قد حققنا السيادة الكاملة على العالم ... وبعد ذلك يبقى ما بقي على المسيح."[4]

وطبقا للمؤرخ الإنجليزي تشارلز فريمن، فإن معظم أوائل المسيحيين توقعوا عودة المسيح في غضون جيل منذ ارتقائه إلى السماء، وقال إن عدم عودة المسيح عليه السلام في تلك الفترة أدى إلى كثير من الاستغراب في أوساط المسحيين الأوائل[5].

وذكرت العديد من المصادر المسيحية أن حالة من الاستغراب والشعور بخيبة الأمل سادت الأوساط المسيحية، إثر أحداث تاريخية كانوا يعتقدون أنها مجرد مقدمات كمقدمات للعودة المنتظرة، من أبرزها سقوط القدس في العام 70 للميلاد.[6]

وفي ما يتعلق بالجانب الإسلامي، فقد حددت أحاديث الفتن المرتبطة بعودة المسيح عليه السلام، أن نزوله إلى الأرض بأمر من الله سيكون في نهاية أيام الدجال، وقت صلاة الفجر إبّان الإقامة، فيصلي

---

[1] الرؤيا: 7/4-8

[2] Eugen Weber, Apocalypses, Harvard University Press, p. 89, 1999.

[3] James Randi, The Mask of Nostradamus, Prometheus Books, p. 235, 1993.

[4] أمين محمد جمال الدين، عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام، دراسات عليا في الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر–ط/ الثانية، 1996م، ص: 45.

[5] - Freeman, Charles, The Closing of the Western Mind: The Rise of Faith and Fall of Reason, Vintage, p. 133, 2002.

[6] Albert Schweitzer, The Quest of the Historical Jesus, Macmillan, p. 240, 1968. And Chuck Smith, The Word for Today, Costa Mesa, p. 17, 1978. And - David Friedrich Strauss, The Life of Jesus Critically Examined, Sigler Press, p. 587, 1994. And Edward Gibbon, The Decline & Fall of the Roman Empire, Penguin Books, p. 276, 1985.

تلك الصلاة خلف المهدي، وذلك تكرمة من الله لهذه الأمة، ثم يتسلم الأمر ويصبح المهدي من أصحابه وخواصه المقربين، نظرا لشرف النبوة، ويعملان معا على محاربة مسيح الضلالة وإعلاء كلمة الله عز جل.[1] وهذا ما جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر خروج الدَّجَّال ثم نزول عيسى قال: "إذا بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه – أي: يطلب الدَّجَّال – حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة"[2].

ويتضح مما سبق اتفاق سفر الرؤيا وأحاديث الفتن في:

1- أن سفر الرؤيا وأحاديث الفتن متفقان على مسألة العودة الثانية للمسيح عليه السلام في آخر الزمان، وأنه سيرجع عيانا بيانا تدركه كل عين.

2- واتفاقهما على أن النصر النهائي والتمكين سيكون للمسيح عليه السلام بعد معركة ينتصر فيها الحق وأهله.

3- وأن نزوله سيكون في زمان يكثر فيه الشر في الأرض.

ويوجد اختلاف بين السفر وأحاديث الفتن في أن:

1- المفسرين من البروتستانت المعاصرين للعودة في سفر الرؤيا، ذهبوا في تحديد وقت نزوله عليه السلام إلى تفسيرات، اختلفت في تحديد وقت مجيئه، وكل منهم يعتقد أن مجيئه سيكون في زمانه.

2- وبينما حددت أحاديث الفتن أن عودته ستكون عند صلاة الفجر في نهاية فترة الدجال ليقاتل مع الطائفة المنصورة، جعل سفر الرؤيا من عودة المسيح غاية لإنقاذ عدد محدد من أشراف بني إسرائيل.

<u>نهاية المسيح عليه السلام بين سفر الرؤيا وأحاديث الفتن</u>

حدّد سفر الرؤيا مدة لبث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، في الأرض بعد نزوله من السماء بألف سنة، فقد جاء في سفر يوحنا: "بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً للهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ." وهي ألف سنة من الأمن والأمان والخير والسعة.

---

[1] عبد الوهاب طويلة، المسيح المنتظر ونهاية العالم، ص: 212

[2] صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (67/18- 68- مع شرح النووي).

ومع صعوبة وكثرة تفاسير الرؤيا لما فيه من رموز غامضة، إلا أن جمهور مفسريه من المسيحيين الأصوليين يرون أن عيسى بن مريم سيرجع بعد شدة وتعاسة ستلحق بأتباعه، وذلك إثر ظهور المسيح الدجال في الأرض.

وفي الجانب الإسلامي، وردت أحاديث كثيرة عن أن المسيح عليه السلام سيلبث في الأرض أربعين سنة بعد نزوله، منها ما أخرجه ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إماما عادلا حكما مقسطا»[1]

ويتفق سفر الرؤيا وأحاديث الفتن في نزول المسيح لفترة محددة، إلا أن الإثنين يختلفان في تحديد فترة بقائه، فبينما يرى سفر الرؤيا أنه سيبقى لمدة ألف سنة، تذهب أرجح الأقوال الإسلامية أن مدة بقاء المسيح في الأرض ستكون أربعين سنة كاملة.

وفاة المسيح عليه السلام ودفنه

لا يرى المسيحيون إجمالا أن المسيح عليه السلام سيموت ميتة طبيعية بعد نزوله الثاني، إنما يعتقدون أنه سيرتفع إلى السماء مع القديسين وأتباعه، ويصوّر سفر الرؤيا أن نهاية المسيح برفعه إلى السماء مرة أخرى ستكون بعد معركة فاصلة بينه وبين الشيطان، حيث سيتم حرق الشيطان و"النبي الكذاب" في بحيرة من النار والكبريت.[2]

وخلافا لما جاء في سفر الرؤيا، فقد قالت الأحاديث النبوية أن وفاة عيسى عليه السلام ستكون في المدينة، كما سيكون دفنه فيها، قال ابن كثير: "ثم تكون المدينة عامرة في زمان المسيح عيسى ابن مريم رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى تكون وفاته بها ودفنه فيها"[3]

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، فإذا رأيتموه فاعرفوه... إلى أن قال ثم يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه."[4]

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق (497/47)

[2] الرؤيا: 20/ 9-10

[3] ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم (207/1)

[4] أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، 2001 (15/ 153)

الخاتمة وأهم النتائج:

في نهاية هذه الدراسة تم التوصل إلى جملة من النتائج التي نضعها بين يدي الباحث والقارئ وهي كما يلي:

من خلال مقارنة لما جاء في سفر الرؤيا وأحاديث الفتن من حديث عن عودة المسيح، تبين أن المسيحيين يتفقون على العودة الثانية للمسيح، ولكنهم يختلفون في طبيعة تلك العودة بين قائل بأنه سيحكم العالم، وبين من يعتقد أنه سيأتي ليدينه.

ويتفق المسيحيون والمسلمون على مسألة العودة الثانية للمسيح، كما يتفقون على أن النصر النهائي والتمكين سيكون للمسيح عليه السلام، وهو في الديانتين سيأتي عندما يكثر الشر في الأرض.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- الكتاب المقدس

3- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى، 2001

4- جمال الدين، أمين، عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام، دراسات عليا في الدعوة والثقافة الإسلامية – كلية الدعوة الإسلامية، جامعة القاهرة- ط/ الثانية، 1996م.

5- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى، 1419هـ.

6- ابن كثير، إسماعيل، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل- بيروت، 1988

7- إفسافيوس: التاريخ الكنسي (26-25:25)، انظر كارافيذوبولوس، رؤيا يوحنا، ترجمة: الميتروبوليت أفرام كرياكوس.

8-كيرش، جوناثان، تاريخ نهاية العالم، كيف أثر أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل في حضارة الغرب، ترجمة: الدكتور عبد الوهاب علوب، مكتبة الشروق الدولية.

9- التويجري، حمود بن عبد الله، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، دار الصميعي، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط/ الثانية، ج: 3

10- التويجري، حمود، إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، مكتبة المعارف – الرياض، 1985
11- الحاكم، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ الأولى.
12- ابن الحجاج، مسلم، المسند الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت
13- السباتين، راجح، المسيحية البروتستنتينية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، رسالة ما جستير، الجامعة الأردنية 2007.
14- هلال، رضا، المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية في آمريكا، مكتبة الشروق ط/ الأولى، 2000
15- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط/ الثانية.
16- ابن حزم، علي أبو محمد، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية – بيروت.
17- ابن عساكر، علي أبو القاسم، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر، 1995
18- طويلة، عبد الوهاب، المسيح المنتظر ونهاية العالم، دار السلام، القاهرة، ط/الرابعة.
19- ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عطا، ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ الأولى، 1992
20- الحسني، عبد الله بن الصديق، عقيدة أهل الاسلام في نزل عيسى عليه السلام، واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم – فلسطين.
21- الغماري، عبد الله الصديق، إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان، المكتبة الأزهرية للتراث، 2006
22- الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان- الدار البيضاء، ط1/ الأولى، 1997.
23- أرمسترونج، كارين، تاريخ الكتاب المقدس، ترجمة: محمد صفار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط/ الأولى 2010
24- الررازي، محمد، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
25- شلتوت، محمود، الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم العاصر في حياته اليومية العامة، دار الشروق، ط/ 18، 2004.